

السؤال

أشترك في مجموعة لطلب العلم الشرعي ، وتعرضنا لكتاب " بيان فضل علم السلف " لابن رجب الحنبلي ، وقد تكلم الإمام رحمه الله على جزء يتعلق بالعربية والحساب ، وأنا طالبة أدرس الرياضيات والفيزياء المجردتين ، وبأمر الله من المتوقع أن أتخصص في الرياضيات ، والكلية والمجال من اختياري ، لامتلاكي ملكة التعامل مع هذا النوع من العلم بفضل الله تعالى ، نظريات الرياضيات وما إلى ذلك ، صراحة وبكل صدق ما ندرسه في الرياضيات والفيزياء البحتة ، كله أدى إلى ما وصلنا إليه من تطور ، وللأسف احتكار الغرب لهذا النوع من العلوم والفهم الدقيق لها ، في حين يحفظها الغالبية في بلادنا العربية لسوء التعليم أدى إلى تخلفنا من ناحية الأخذ بالأسباب الدنيوية ، بمعنى إنه قليل جدا من تلك العلوم والتعمق فيها هو الذي لا يعد نافعا ، وإن كان غير نافع الآن فقد ينفع في المستقبل ، فالخوض في النظريات وإن بدا مجردا في أوله ، ينتج لنا على أرض الواقع نتيجة في النهاية ، صار لي عدة أعوام أتعامل مع العلوم البحتة ، وأتعمق فيها ، وتأكد لي بالتجربة الشخصية ما ذكرته أعلاه ، فكيف يعد قضاء الوقت في هذا النوع من العلم غير نافع؟ كما أن صقل العقل والتفكير مهم لزيادة القدرة على التعامل مع تلك العلوم ، فكيف يعد من إضاعة الوقت؟

الإجابة المفصلة

أولاً :

يتعلق كلام الإمام ابن رجب رحمه الله بما ينفع من العلوم ، بالقصد الأول إليه ؛ فالعلم النافع ما احتاج إليه أهل الإسلام ، وليس فيه مضرة على دينهم ، ومنه علم الحساب ، قال رحمه الله : " وكذلك علم الحساب يحتاج منه إلى ما يعرف به حساب ما يقع من قسمة الفرائض والوصايا والأموال التي تقسم بين المستحقين لها ، والزائد على ذلك مما لا ينتفع به إلا في مجرد رياضة الأذهان وصقالها لا حاجة إليه ويشغل عما هو أهم منه " ، انتهى من " فضل علم السلف " (3).

وعليه ؛ فلم يكن في عصر الإمام ابن رجب رحمه الله ما وصلت إليه الرياضيات الحديثة ، ودخولها في مجالات متعددة تعود بالنفع الكبير على العالم ، ويحتاجه أهل الإسلام .

فهذا ؛ لا بأس بدراسة العلوم التي ثبت نفعها الآن ، وإن تعلق هذا النفع بالأمر الدنيوية ، فإن هذا من فروض الكفايات ، التي يجب على عموم الأمة تحصيل القدر الكافي منها .

ثانياً :

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله :

" بيان العلم الذي هو فرض كفاية : اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم ، والعلوم ، بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده ، تنقسم إلى : شرعية ، وغير شرعية .

وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، ولا يرشد العقل إليه ، مثل الحساب ، ولا التجربة ، مثل الطب ، ولا السماع ، مثل اللغة .

فالعلوم التي ليست بشرعية : تنقسم إلى ما هو محمود ، وإلى ما هو مذموم ، وإلى ما هو مباح ؛ فالمحمود : ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا ، كالطب والحساب .

وذلك ينقسم إلى : ما هو فرض كفاية ، وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة .

أما فرض الكفاية : فهو علم لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدنيا ، كالطب ؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان . وكالحساب ؛ فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث وغيرها . وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها : حَرَجَ أهل البلد ، وإذا قام بها واحد ، كفى وسقط الفرض عن الآخرين .

فلا يُتَعَجَّب من قولنا : إن الطب والحساب من فروض الكفايات ؛ فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات ، كالزراعة والحياسة والسياسة ، بل الحجامة والخياطة ؛ فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم ، وَحَرَجُوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك " .

انتهى من "إحياء علوم الدين" (1/16).

فتبين أن من علوم الدنيا ما هو محمود مطلوب ، وأن شأنها شأن الصناعات .

ومن تعلم شيئا من هذه العلوم الدنيوية المباحة - من حيث الأصل - فيأمله أن يحسن نيته فيه ، يطلب الخير له وللناس ، أو سد حاجة المحتاج ، أو إعانة الضعيف ، أو إغناء أمتة وسد حاجتها ، أو غير ذلك من المقاصد المحمودة شرعًا ، وبقدر ما عنده من القصد الحسن ، والنية الصالحة يحمد على عمله ويؤجر عليه ، إن شاء الله ، وإن كان هذا العمل مباحًا من حيث الأصل ، ولو تجرد عن ذلك القصد الحسن : لم يَأْثَمَ على ذلك ، ولم يكن ملومًا عليه ، لكنه يكون في عمل المباح.

ينظر جواب السؤال رقم : (145767) ، (269819).

على أنه لا ينبغي للمرء ، في واقعه الذي يعيشه أن يبالغ في تقدير تخصصه الجامعي ، فإن ما ذكر من تقدم الأمم ، وأمثال ذلك من الكلام : ليس يتعلق بتخصص الفرد الواحد في شيء من هذه العلوم ، بل ولا نبوغه ، ونبوغ أفراد معدودة ، بل يتعلق وينبغي على مجموعة من العوامل المتكاثفة ، التي تخرج عادة عن طور الشخص الواحد وقدرته .

فينبغي للمرء أن ينظر فيما يمكنه هو من النفع ، وما يلائم ملكاته ، وقدراته ، وما ينتفع به في دينه ، بالقصد الأول ، قبل أن يعيش آمالا ، وطموحات حالمة ، لا يساعدها شيء من الواقع المحيط به من حوله .

والله أعلم .